

ما . ولعل هذا يفسر لماذا كان ينتقى فقط تلك اللحظات التي تفتح فجأة عن معنى كامن فيها . وعن مثل هذه المعاني كان دأب البحث ، يراها في لحظة عابرة ، في كلمة ما ، في حديث عابر ، في أيماء عادية ، في حديث خافت بين الطلبة حول سرقة النبيذ من كنيسة المدرسة ، في مشاحنة سياسية ودينية حول مائدة العشاء في ليلة عيد الميلاد ، في ذكرى سقطته الأولى ، أو فيما يراه حوله في الناس والأصدقاء في عقم وتخلف واختناق ديني وسياسي . وفي هذا المعنى يكتب الى ناشره قائلا :

لقد قصدت أن أكتب فصلا في تاريخ بلدى الخلفى وقد آثرت أن يكون المنظر في دبلن لأن تلك المدينة تبدو لى مركز شلل .

ان جويس اذن يراقب تفصيلات الحياة اليومية لكي ينفذ فيها ببصيرته الى معنى ما . وهو ينتقى من هذه التفصيلات ما يكشف في نهاية الامر عن الرؤيا التي تتجلى له من مراقبة هذا الحشد من التفصيلات ، كما يكشف عن وقع هذه الأشياء على حساسيته الفنية .

ولهذا فليس من قبيل الصدفة في شيء أن يرد اسم ابسن في صورة الفنان ، في مثل هذا الحوار بين ستيفن وعميد الكلية عندما يصطدمان حول نظرة كل منهما الى ابسن :

العميد : ... ابسن ، ميتزلتك ، هؤلاء الكتاب المحدون الذين يملأون عقول قرائهم بكل قمامة المجتمع الحديث . ليس ذلك فنا .

ستيفن : اننى لا أرى شيئا غير مشروع في تفحص النساء .

العميد : نعم ، قد لا يكون هذا مشروعا بالنسبة لرجل العلم والمصلح الاجتماعي .

ستيفن : ولم لا يكون مشروعا بالنسبة للشاعر . كان دانتى ...

العميد : آه ، نعم ، دانتى كان شاعرا عظيما .

ستيفن : ابسن أيضا شاعر عظيم ، ووصف ابسن للمجتمع الحديث وصف صادق في سخريته ، مثل وصف نيومان لخلقيات الانجليز البروتستانت .

العميد : ربما .

ستيفن : ويخلو من كل نوايا تبشيرية .